نشوان زيد علي عنتر
مجبر أخاك لا بطل

مجبر أخاك لا بطل

(مقالات)

بقلم :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠٢٤م

أبو عبد الله الصغير

ظل المؤرخون المسلمون عامة و العرب خاصة في حديثهم عن سقوط غرناطة على يد الإسبان عام ١٤٩٢م على مر العصور الوسطى و الحديثة و المعاصرة و إلى يومنا هذا يعتمدون على نفس الرواية التقليدية المتعلقة بالحدث السابق ذكره التي تتضمن بين سطورها الحديث عن إستسلام آخر ملوكها السلطان محمد بن علي بن سعد النصري (بنو الأحمر) أو المعروف عند المسلمين بأبو عبدالله الصغير و عند الأوروبيين بأبو عبديل لملك أراجون فيرناندو الذي غرق في المجون و الملذات و محاربة عمه محمد الزغل الأحق بعرش المملكة منه قبل أن يقصيه من البلاد عام ١٤٧٦م بدعم من حلفائه الإسبان الذين وقفوا معه حيال الأول و رفض إعلان الجهاد ضدهم و تنازل عن أجزاء واسعة من مملكته لهم و تنحصر تدريجيا حول مدينة غرناطة و ضواحيها مما أثار غضب المسلمين و وصفه بالخائن على حد تعبير أمير البيان شكيب ارسلان و يدفع ثمن ما ارتكبه من خطايا بحق شعبه و أمته الإسلامية عندما طرد ذليلا من الأندلس بمعية والدته السلطانة عائشة التي صرخت في وجهه عندما رأت دموعه (ابك ملكا لم تحافظ عليه كالرجال) و لاسيما بعد أن سلم عاصمته غرناطة إلى الإسبان عام ١٤٩٢م الذين ما فتئوا منذ تلك اللحظة يعملون القتل و السلب في الوجود الإسلامي في الأندلس حسب رأي صاحب كتاب (نفح الطيب) الإمام المقري ، ليتحمل الرجل بمقتضى هذه الرواية السالفة الذكر وزر ما حدث لوحده و تبرئة أمه و عمه و الملكة

إيزابيلا التي تحالفت معه فيما مضى و استلمت مفاتيح المدينة منه بمعية زوجها الملك فيرناندو حسب الرواية الاسبانية التقليدية التي بدورها لم تلق أي دراسة تاريخية نقدية جادة تذكر .

و لو تفحصنا الروايتين العربية و الإسلامية و الإسبانية فسنجد أن كليهما مليء بالتعميمات الإرتجالية المسبقة الخالية من التحليل الموضوعي للحدث و المستندة على النقل الشفهي لا المكتوب مما يضعف صحة و طريقة تناولهم للحدث المصيري الفاصل في تاريخ الأندلس أو إسبانيا الإسلامية و لاسيما بعدما سقوط جارتها الغربية البرتغال على يد دوق بورجنديا الفرنسي هنري الأول عام ١٠١١م ليبدأ معها العد التنازلي لإنهيارها مع سقوط كبرى مدنها طليطلة عام ١٠٥٧م حتى غرناطة عام ١٤٩٢م مما يبرهن على أن هذا الرواية يكتنفها الكثير من المعلومات و الإثباتات الخاطئة و لاسيما فيما يتعلق مسئولية أبو عبد الله الصغير بانهيار الوجود العربي – الإسلامي في شبه جزيرة إيبريا و الذي دام ثمانية و قرون و نيف .

يعتبر أبو عبدا لله الصغير أخر سلاطين بني الأحمر أو بني نصر و الذين تعود أصولهم إلى قبيلة الخزرج اليمنية و كانوا في بادي الأمر عمالا للموحدين إثناء حكمهم للأندلس قبل أن يستقلوا بغرناطة و يؤسسوا دولتهم على يد محمد بن يوسف الغالب بالله النصري[1] عام ١٢١٤م ليصبحوا الكيان السياسي الوحيد في شبه الجزيرة الإيبيرية[2]

[1] نسبة إلى عشيرة نصر اليمنية الأصل و أحد عشائر قبيلة الخزرج (المؤلف) .

[2] هي شبه جزيرة اوروبية مكونة من إسبانيا و البرتغال و كانت تعرف العصور الوسطى خلال الحكم الإسلامي لها بالأندلس (المؤلف) .

بعدما قضوا على منافسيهم الهوديين عام ١٢٣٨م ليتولى ملوكهم منفردين دفة المقاومة و الدفاع عن ما تبقى للعرب و المسلمين من وجود في هذه الأصقاع ضد ملوك قشتالة إحدى اكبر الممالك الاسبانية المعادية للوجود الأجنبي كما يحلو لهم تسميته قبل أن تتقلص دولتهم بالتدريج اثر حروب طاحنة دارت بين أفراد العائلة المالكة و لاسيما عائلة أبو عبد الله الصغير الذي لم يكن له يد في ذلك بتاتا بل واحد من ضحاياه فوالده السلطان أبو الحسن علي بن سعد الملقب بالغالب بالله عرف عند الإسبان باسم مولاي حسن بعدما دوخهم في حروب شرسة خاضها ضدهم و أوقع بهم العديد من الهزائم جعلت الملك خائفين من بطشه و لم يتجرأ كلاهما على مواجهته أو محاربته خلال سنوات حكمه الأولى ١٤٦٢ – ١٤٦٦م قبل أن يدخل في صراعات عائلية تحولت إلى حروب دامية ، بدءً من صراعه مع زوجته و إبنة عمه السلطانة عائشة بعدما تزوج عليها إمرأة إسبانية شابة من فئة النبلاء (يشاع أنها كانت من السبايا اللائي أسرهن خلال المعارك) إسمها إيزابيلا و أصبحت بعد إعتناقها الإسلام باسم ثريا و كانت مفتونة بشخصيته القوية و الجذابة كغيرها من الفتيات الاسبانيات اللائي تغزلن بأشعاره أو قيلت عنه مدحا ، فتحرض الأولى ولديها ضده عام ١٤٦٧م فيقتل احدهما و الثاني يسجن مع والدته و زوجته و يتعرضوا إلى اشد صنوف التعذيب و التي استخدمها ضد معارضيه أيضا بعدما أغروه الناس و أضفوا عليه آيات التعظيم و التبجيل و التالية كما هي عادة العرب عندما يحولون بنفاقهم و تملقهم أبطالهم التاريخيين إلى طغاة و ديكتاتوريين ، فإستطاعوا الفرار ليقعوا في أسر الإسبان بالعام ذاته لتتفق السلطانة عائشة

مع موفد الملك فيرناندو ملك أراجون بالتحالف معهم سعيا وراء تنصيب إبنها أبو عبديل سلطانا على غرناطة و مما يبرهن على تواطؤها مع الأعداء و خيانتها لصالح أطماعها الشخصية و أجبرت إبنها على المضي قدما في هذا الطريق المحفوف بالأشواك و المخاطر و لاسيما أن عمه محمد بن سعد الزغل قد استغل إصابة أخيه بالعمى أو الصرع ليقصيه من كرسي الحكم عام ١٤٦٩م وينفيه و زوجته الثانية إلى مدينة المنكب قريبة من مدينة ملقا المطلة على البحر الأبيض المتوسط حيث وافاه الأجل في العام ذاته ، فتتحالف السلطانة عائشة مع الإسبان مجددا عام ١٤٧٠م لتضمن حق ولدها في عرش أبيه ضد عمه الزغل مقابل تنازله عن بعض الأراضي الغربية لمملكته ليتخذها حلفاؤه قواعدا عسكرية لهم في حربهم المذكورة سلفا حيث لم يكن يملك من أمره شيئا باعتباره صغيرا في السن أو حتى تكون لديه خبرة سياسية تذكر ، ثم ينجح في تحقيق مأربه عام ١٤٧١م بعدما انتصر على الأخير و خروجه و عائلته إلى الجزائر .

بالنسبة لعاهلي مملكة أراجون و قشتالة المزدوجة – الملك فيرناندو و الملكة إيزابيلا و اللذان تم الزواج بينهما عام ١٤١٥م بموجب اتفاقية أو نقل صفقة في العام ذاته بين الملك فيرناندو و هنري الرابع ملك قشتالة و الشقيق الأكبر للملكة إيزابيلا حيث أجبرها على الزواج من الأول من أجل أن يساعده في القضاء على خصومه من النبلاء القشتاليين الذين ناصبوه و عائلته العداء و هذا ما تحقق و لازال خلال فترة حكمه حتى

عام ١٥١٩م إلى جانب عدم امتلاك زوجته الملكة إيزابيلا خبرة في الحكم و قيادة الجيش و قد أثبت ذلك فشلها في قمع تمرد لأحد النبلاء القشتاليين في إحدى حصون في إقليم غاليسيا عام ١٤٧٦م و هزيمته أمامه قبل أن يقضي زوجها عليه ، لكن لأنها الوريث الشرعي الوحيد لشقيقها الذي لم يتزوج قط فقد آل عرش قشتالة إليها ، لكن هذا لا يعني أن مشاكلها إقتصرت على تمردات القادة العسكريين و النبلاء اللاهثين وراء إمتلاك أكبر قدر من الأراضي الأندلسية المستردة بثراها و ناسها فحسب بل شملت الحرب الدائرة بين مملكة أراجون و فرنسا في عهد ملكها شارل الثامن حول ممتلكات الأولى في جنوب إيطاليا و صقلية فيما بات يعرف بالحروب الإيطالية و التي إنتهت بانتصار مملكة أراجون بعد ست سنوات من وقوعها عام ١٤٢٢م و بتأييد من البابا أيضا الذي كان يمقت شارل الثامن بسبب موقفه من الكنيسة التي إنتقد موقفها المؤيد لإنجلترا خلال حرب المائة عام (١٣٥٣ – ١٤٥٣م) ، و لأجل ذلك سعي إلى توطيد علاقته بالكنيسة الكاثوليكية بروما و الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، فأقام و زوجته الملكة إيزابيلا نظام حكم ديني إضطهد من خلاله المسيحيين الشرقيين و المسلمين و اليهود في إسبانيا و أن لم يفرضوا عليهم التنصير الجبري بعد حيث طبق عام ١٥٢٧م في عهد كارل الخامس (١٥١٩ – ١٥٥٦م) على إثر قيام حركة الإصلاح المضاد لمواجهة المذهب البروتستانتي منذ تأسيسه على يد مارتن لوثر عام ١٥١٧م مقابل العديد من المراسيم البابوية التي تلزم الدول و الممالك الأوروبية بالدعم المادي و العسكري لمملكتي أراجون و قشتالة ضد المسلمين الغزاة لأرضهم كما كانوا

يروجون في أدبياتهم خلال تلك الفترة مما يكشف لنا أن حرب الإسترداد بين الإسبان و العرب قامت لأسباب عرقية و اقتصادية و سياسية تتستر برداء الدين ، و ما زاد في دعم موقفهم مصاهرتهم للإمبراطور ماكسمليان الأول (١٤٩٣ – ١٥١٩م) بزواجه من إبنته الأميرة جوانا المجنونة ليثمر ذلك الحلف عن إنجابهم الإمبراطور كارل الخامس أعظم أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة في عهد النهضة الأوروبية و الكشوفات الجغرافية مما جعلهم ندا قويا لبريطانيا و فرنسا و حلفاء الأخيرة في إيطاليا و إسبانيا .

سقوط غرناطة :

و بعد كل ما سبق و تولي أبو عبدالله الصغير العرش في سن صغيرة مع إفتقاره للخبرة السياسية و العسكرية الكافية لتؤهله لإدارة مملكته الصغيرة المتلاشية شيئا فشيئا ، فان الإسبان لم يفلحوا في إسقاطها بسهولة و بلمح البصر كما كانوا يعتقدون ، فرغم مظاهر الضعف و التفكك التي نخرت جسدها إلا أن أبو عبدالله الصغير سرعان ما إنقلب على حلفاء الأمس و خاض ضدهم حربا ضروسا دامت ٢١ سنة و قاتلهم قتال الأسد الجريح المحاصر من قبل أعدائه موقعا فيهم أسوار مدينة غرناطة قبل سقوطها بأسبوع ضد الجيش الإسباني حيث أصيبت الملكة إيزابيلا بسهم في ساقها و الملك فيرناندو في ذراعه و فشل في إقتحام المدينة من الغرب و إخضاعها للتاج الإسباني مما أضاف أعباء ثقيلة جديدة على كاهل العاهلين تمثلت بضرائب إضافية و تمردات جديدة في

صفوف الجيش و النبلاء و أزمات إقتصادية و ضغوط خارجية من قبل فرنسا و مملكة نافارو الموالية لها أو الكنيسة البابوية في روما لم تكن في الحسبان .

لكن هذا لا يعني الطرف الآخر كان في وضع أفضل من الأول ، فمملكة بني الأحمر بدأ يدب الضعف فيها جراء الأزمة الإقتصادية الخانقة الناتجة عن الحصار الإقتصادي و العسكري المفروض عليهم من قبل الإسبان برا و بحرا بعد إحتلالهم الميناء الرسمي للمملكة و الشريان الوحيد لغرناطة مدينة ملقا و أيضا مدينة سبته المغربية الواقعة جنوب مضيق جبل طارق عام ١٤٨٦م مما دفع العديد من أعيان و تجار المدينة إلى التسلل من أسوارها سرا لدى الإسبان بغية التحالف معهم و الحصول على إمتيازات و ضمانات بعدم الإعتداء على أملاكهم و نهبها في حال إذا إقتحموا غرناطة قسرا دون أن ننسى تأثير الصراعات الأسرية و نفاذ الغذاء و الأسلحة ، لذا قرر الطرفان المتحاربان عقد هدنة قصيرة فيما بينهما ليتريثا و يعيد كل طرف ترتيب أوراقه للمواجهة المقبلة التي لم تحدث أبدا حيث إجتمع أبو عبدالله بأعيان و كبار شخصيات المجتمع الغرناطي من كافة فئاته المختلفة في بهو قمارش بقصر الحمراء فيما يشبه الإستفتاء الغير مباشر لأنه لم يشمل كافة الغرناطيين بمختلف أطيافهم ليفضي في الأخير إلى التصويت بالأغلبية الساحقة لصالح تسليم مدينتهم للملك فيرناندو بالشروط التالية :

١-التأمين على المسلمين في أنفسهم و أموالهم و عدم الإعتداء عليهم .

٢-أن من حقهم الإحتفاظ بشريعتهم و قضاتهم .

٣–أن من حقهم ممارسة شعائرهم الدينية .

٤–أن تبقى المساجد حرما مصونة و محمية من الإنتهاك و الإعتداء .

٥–و إلا يولى عليهم نصراني أو يهودي ليحكمهم .

٦–السماح لأي منهم السفر إلى المغرب متى شاء .

و بموجب هذه الشروط عقدت معاهدة التسليم بين الطرفين و على أساسها أخذوا غرناطة بعد ما كانت شوكة في حلوقهم تقض مضجعهم لسنوات في الثاني من يناير عام ١٤٩٢م .

و رغم كل ما سبق ، فإننا نستنج أن مسئولية سقوط غرناطة لا تقع على عاتق السلطان أبو عبدالله الصغير فحسب بل أيضا على سكان المدينة و السلطانة عائشة و الصراعات الأسرية و من قبلهم الأخطاء التي إرتكبها الفاتحين المسلمين عند دخولهم هذه البلاد في العام ٧١١م عندما فرضوا ثقافتهم العربية – الإسلامية على سكانها الأصليين لمدة ثمانية قرون و نيف و جعل زمام الأمور و الحكم حكرا على الفاتحين دون غيرهم و لاسيما أن الفتح المذكور آنفا قام لأغراض عسكرية و سياسية متمثلة بإحتلال اسبانيا لحماية ممتلكات الدولة الإسلامية في المغرب الأقصى و السيطرة على مضيق جبل طارق كاملا للتحكم بمداخل البحر المتوسط خلال العصر الأموي ، لذا آن الآوان لإعادة قراءة تاريخنا الإسلامي قراءة تحليلية نقدية علمية بعيدا عن المسلمات الأيدولوجية القديمة التي لازال غبارها يتراكم في عقول مؤرخينا العرب و المسلمين على حد سواء إلى وقتنا الحاضر .

سيف بن ذي يزن

إحتدم الجدل الأكاديمي المحلي حول وطنية آخر التبابعة اليمنيين سيف بن ذي يزن ، هل بطل أم خائن ؟ و إذا كان بطلا فلماذا إستعان بالفرس لدحر أعدائه الأحباش ؟ و إذا كان خائنا فلماذا عده أبرهة الحبشي عدو سلطته الإستعمارية و المطلوب رقم واحد حيا أم ميتا ضمن قائمته السوداء الشاملة لكافة خصومه و أعدائه الخطيرين الذين يهددون عرشه الجاثم على بلده اليمن منذ العام ٥٢٥م ؟ و لماذا أيضا ثار ضد الحامية الفارسية في صنعاء و قام بتطويق تحركاتها في المدينة و خارجها مما دفع الأخير لتدبير مؤامرة اغتياله عام ٥٩٥م ؟ ..... و غيرها من الأسئلة التي لاتزال تثير الجدل داخل أورقة الجامعات اليمنية و العربية على حد سواء و تشكك في إنتصاره المدوي ضد الأحباش و إخراجهم عام ٥٧٣م دون مساعدة خارجية تذكر ..... و لكي نستوضح مدى صحة تلكم المعلومات أو عدمها فعلينا أن نبدأ الحديث عن دور سيف بن ذي يزن في المقاومة اليمنية ضد الإحتلال الحبشي و مواكبته لثوراتها المسلحة على المستويين الرسمي و الشعبي حتى لحظة تحريرها من براثنهم بعد ٤٨ سنة .

ينتسب شخصية مقالنا هذا إلى عشيرة ذي يزن الجدنية إحدى أهم العشائر و القبائل الحميرية منذ ظهور كيانهم السياسي عام ١١٥ق.م و قد ذكرت لأول مرة في النقوش المسندية في نقش عبدان الكبير الذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع

الميلادي ، و قد إستأثر أقيالها[٣] و أذوائها[٤] بالمناصب العليا في الإدارة و الجيش في الدولة الحميرية خاصة و الدولة اليمنية القديمة عامة في عصر ملوك سبا و ذي ريدان و حضرموت و يمنت و أعرابهم في الطود و التهائم (٢٨٠ – ٥٢٥م) بإعتبارهم الأكبر عدة و عتادا و الأكثر خبرة بالأمور العسكرية و السياسية لدرجة أنهم استحوذوا على مقاليد الحكم فيها منتصف القرن الخامس الميلادي يحركون الدولة لمصالحهم كيفما شاؤا مما أثار غضب و إستياء بقية القبائل و العشائر المنافسة لهم ، فقامت بالثورات و التمردات التي أضعفت الدولة المركزية في تلك الفترة مما دفع أقرانهم المنافسين إلى الإستعانة بالخارج و لا سيما من الحبشة و هذا ما حدث بين عامي ٥٢٥م و ٥٣٣م ليقضوا على إحتكارهم الطويل للسلطة و على إثرها ينتقلوا إلى صفوف الثائرين و المقاومين للإحتلال الحبشي .

آنذاك كان سيف بن ذي يزن من الأمراء اليزنيين الشباب من فئة الفرسان و إبن أحد القادة في الجيش اليمني قبل حله في عهد أبرهة الحبشي الذي كان حسب زعم كثير من الإخباريين صهره و زوج أمه بعد وفاة أبيه و التي تزوجته رغما عنها قبل أن يؤول مصيرها إلى الإنتحار بعد سنة من زواجها منه مما أثار حقد الأول على الثاني و سعيه الحثيث للإنتقام لها و تحرير وطنه اليمن من براثنه لأنه طاغية مستبد لا يعرف في قلبه الرحمة من جهة و لأنه من الغزاة المحتلين من جهة أخرى و أيضا لأنه من

[٣] رجل دولة في اليمن القديم و حاكم إقطاعية كبيرة تعرف بالمقولة (المؤلف) .

[٤] رجل دولة في اليمن القديم و حاكم إقطاعية صغيرة تعرف بالمحفد (المؤلف) .

طبقة إجتماعية محتقرة و مصاهرته يعتبر حسب أعراف المجتمع اليمني آنذاك قمة العار الذي يلطخ شرف صاحبه أبد الدهر مما دفعه إلى الإشتراك مع نظرائه الأقيال المتضررين من حكم الأحباش في مقاومتهم و دحر وجودهم من بلادهم إلى الأبد .

تعتبر ثورة يزيد بن كبشة اليزني من أهم و أكبر و اعنف الثورات التي وجهت ضد الإحتلال الحبشي و التي إشترك فيها سيف بن ذي يزن بقوة و إصرار لم يسبق لها مثيل حيث كان لها الدور الأساسي في صقل خبرته السياسية داخل وطنه و خارجه قبل أن يقضى عليها أبرهة الحبشي قضاء مبرما بصعوبة عن طريق الدعم العسكري و السياسي من مسقط رأسه و حليفتها بيزنطة إضافة إلى إثارة الخلافات بين الأقيال و المشائخ الذين شاركوا في هذه الثورة و إنشقوا عنها لينضموا سريعا إليه فيدرك سيف من خبرته العملية أن الولاءات القبلية الضيقة لاتزال تسود المجتمع اليمني آنذاك و مستمرة إلى يومنا الحالي على حساب الولاء للوطن و أن الفرد هناك مهما كانت مكانته الإجتماعية مستعد أن يضحي ببلده من أجل قبيلته حتى و لو إستدعى الأمر الإستعانة بالأعداء أو القوى الخارجية الساعية للسيطرة عليها بسبب موقعها الجغرافي و عمقها الإستراتيجي لوقوعها على مضيق باب المندب إضافة على طرق التجارة البرية في منطقة شبه الجزيرة العربية التي تحكمت بها لسنوات عدة عندما كانت إمبراطورية عظمى تزاحم في قوتها الفرس و الروم حتى يحقق هدفه الأسمى حسب زعمه و هذا ما دفعه للتفكير مليا في أسلوبه التقليدي للمقاومة و يعيد ترتيب

أوراقه و يكون سعيه الحثيث هو تحرير بلاده و لو كان بالإستعانة بالمحتلين إن لزم الأمر .

تبدأ رحلته إلى أبناء عمومته الغساسنة بعد مسيرة ثلاث سنوات من السفر المضني و الإختفاء عن أعين الأحباش الذين توسطوا لدى حليفهم الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول (٥٦٥ – ٥٧٨م) الذي رفض طلبه بمساعدته و إعتماده كحليف إقليمي عوضا عن نظيره الحبشي مما أصابه بخيبة أمل كبيرة إن لم نقل هائلة لأنه كان من المتوقع حسب إستنتاجه أن يحدث هذا لقوة التحالف بين الطرفين و عدم نية البيزنطيين للتضحية به من أجله في الوقت الحاضر فقرر أن يولي شطر وجهه شرقا إلى العراق عند حكامه و أبناء عمومته الآخرين المناذرة و لاسيما آخر من تولى أمرها النعمان بن المنذر (٠٠٠ – ٦٠٨م) و قد قام الأخير بالتوسط من أجل الأول لدى الكسرى خسرو الأول الساساني (٠٠٠ – ٥٧٦م) الذي إقتنع بصعوبة بدعمه عسكريا و سياسيا بعد خبر طويل جرى بينهما حيث لم يكن مستعدا لإرسال نصف جيشه الذي يواجه البيزنطيين في بلاد الشام و القبائل الآرية و التركمانية في آسيا الوسطى في معركة غير محسوبة نتائجها سلفا رغم أهمية اليمن بالنسبة له والتي يسعى حثيثا للإستيلاء عليها قبل أن يقنعه سيف و أحد مستشاريه و سفيره لدى المناذرة عدي بن زيد مجتمعين في جدواها و لاسيما أن الأول أكد له أنه سيتحمل تكوين الحملة العسكرية التي ستنطلق نحو بلده ماديا و عسكريا معتمدا على مجموعة من السجناء الفرس و معظم من القادة العسكريين المتمردين على

الكسرى المذكور سلفا و على رأسهم وهرز إضافة الى مساعدة أبناء عشيرته من قبيلة ذو يزن المستأثرة بالأراضي الساحلية الجنوبية الواقعة على البحر العربي و لاسيما مدينة عدن و الذين بعضهم بدأوا يتململون سرا من حكم سيدهم آنذاك أبرهة الحبشي و يخططون لزحزحته مستغلين إنشغاله بحملته العسكرية نحو الحجاز عام ٥٧٠م .

بعد أن وطأت أقدامهم ساحل عدن مستغلين التراخي الأمني العسكري من قبل الأحباش و التي عمت البلاد على اثر وفاة أبرهة في قصر غمدان متأثرا بجراحه التي أصيب بها خلال الحملة المذكورة آنفا ليخلفه إبنه المسروق أو يكسوم في المصادر الحبشية الذي واجه منفردا واثقا من إنتصاره عليهم إلى درجة التوهم بأن وطنه الأم سيرسل له الإمدادت العسكرية اللازمة لمواجهتهم ، لكن سياسة والده الإستقلالية نسبيا عن الحبشة و الصراع على عرش الأخيرة مما جعل كفة الحكم تتأرجح أصابه بخيبة أمل كبيرة و ما نغص عليه أكثر تخلي الأقيال الموالين لوالده عنه حيث ما إنفكوا يسعون لدعم سيف بن ذي يزن حتى يضمنوا مصالحهم و دوائر نفوذهم الحيوية كما في السابق ، فإستطاع الإستيلاء على صنعاء بعد قتله يكسوم إثر مبارزة فاصلة جمعت بينهما بالقرب من أسوارها عام ٥٧٢م و بالتالي يتوج كآخر ملك من ملوك اليمن القديم و تابعة الدولة الحميرية على حد سواء بعرش البلاد تحت الوصاية الفارسية لمدة قصيرة الأجل حاول من خلالها فرض سيادة الدولة المركزية في أرجاء التراب اليمني الطبيعي آنذاك حيث ألغى الحكم الذاتي السائد في

المخـاليف منـذ عهـود طويلـة و العديـد مـن الإمتيـازات السياسـية و العسـكرية و الإقتصادية للأقيال بمن فيهم أبناء جلدته اليزنيين المؤيدين للإحتلال الحبشي البائد و المعارضين له على حد سواء للحد من نفوذهم المطلق المهدد لسيادة الدولة آنـذاك ، فضـلا إلـى المصـاعب التـي واجههـا فـي تطويـق نفـوذ الفـرس السياسـي و الإقتصـادي و العسـكري و لاسـيما أفـراد الحاميـة العسـكرية التـي سـاعدته فـي تحريـر بـلاده مـن الأحبـاش بعـدما حصـرهم فـي قاعـدة عسـكرية واحـدة بـالقرب مـن شـرق المدينـة و بـدعم مـن الكسـرى خسـرو الأول الـذي وافـق علـى ذلـك الإجـراء مقابـل التنازلات و المواثيق التي كتبها سيف على نفسه مجبرا بأن تصبح اليمن ولاية من ولايات الإمبراطورية الساسانية الفارسية و يكون هو واليها و ممثله الأعلى هناك و يتـوارث أفـراد أسـرته حكمهـا أبـا عـن جـد بـإذن منـه أسـوة بالمنـاذرة فـي العـراق و الغساسنة في الشام ، إضافة إلى سعيه الحثيث لتطهير البلاد من ما تبقى من الوجود العسكري الحبشي و لاسيما في نجران و ظفار دون إغلاق كنائسهم أو أحيائهم أو أسواقهم التجارية و إعادة تأهيل طريق القوافل التجارية البرية الذائعة الصيت من قبل و إعادة سيطرة اليمنيين عليها تدريجيا بمد الجسور مع تجار مكة و الطائف و تقديم الخدمات الملاحية من سفن و معدات و ملاحين مهرة لهم خلال رحلاتهم البحرية بين الحجاز و الساحل الإفريقي على البحر الأحمر ..... و غيرها من الأعمال و التصـرفات التـي ألبـت مشـاعر الغضـب و التملمـل ضـده مـن قبـل الجميـع و لاسـيما الأقيـال و شـيوخ القبائـل الـذين أحسـوا بـأن الرجـل يسـحب البسـاط الـذي قـاتلوا و

ضحوا ببلدهم من أجله من تحت أقدامهم ، فإتهموه بأنه خائن للوطن كما هي عادتهم على مر الزمان ضد أي حاكم أو نظام يناهض نفوذهم و يهدد مصالحهم الشخصية الإستغلالية زاعمين بأنه أضحى بعد تحرير البلاد عميلا للفرس الذين بدورهم لم يعودوا يتحملون رقابته الشديدة عليهم و لاسيما إنه يشكل بالنسبة لهم عائقا لتحقيق أطماعهم الإستعمارية ليس في اليمن فحسب بل في شبه الجزيرة العربية ليصبح كليهما تحت قبضة العرش الساساني لأول مرة منذ عدة عصور ، دون أن ننسى الطرف الثالث في اللعبة إلا و هم الأحباش ، فعلى الرغم من إنه إستبقى القليل من أسرهم في الحرب إلا أنه أسأ إليهم و عاملهم معاملة عنصرية و دونية و لاسيما ضد ما تبقى من عائلة الملك يكسوم الحبشي فزرع خطأه البسيط بالنسبة له و غيره من الأقيال و المشائخ الفادح بالنسبة لنا الحقد و الكراهية و الإنتقام منه لدى الأول لتتحول غلطة الشاطر بألف إلى وبال خطير على صاحبه ليلقى مصرعه على يد واحد من خدمه الذين إستعبدهم و عزله من منصبه السابق كقائد للخيالة في العهد البائد عام ٥٧٤م و بتواطؤ و تخطيط من الأقيال و المشائخ و الفرس الذين قتلوا القاتل و جعلوه كبش الفداء ليتحمل وحده وزر ما حدث ليخفوا أثار جريمتهم الشنعاء بحق رجل أجبروه أن يكون بطلا و سيفا قاطعا ضد المحتل و لكن من خشب لخدمة مصالحهم الشخصية ، و عندما حاول عبثا أن يتمرد عليهم و يقف ضد التيار سحقوه تحت عجلات قطارهم الطاحن و لكن عبر من أجلاهم من بلاده

.

مارادونا

كنت بصدد أن أكتب عن مقالا عن الملك الفرنسي لويس الرابع عشر ضمن زاويتي اليومية و سعيت للبحث عن مصادر و مراجع لها علاقة بالموضوع ، لكني عدلت عن ذلك في اخر لحظة و غيرته الى دييغو مارادونا حيث رأيت أن معاناته كان أشد الما من الأول .

و الذي دفعني لهذه الديباجة الموجز ما قد يحوم حول ذهنية المتلقي الإستغراب لتناولي شخصية رياضية لا علاقة بالسياسة ظنا منه أن البطولة و الخيانة مرتبطة دوما بشخصيات تاريخية لها دور ضليع و مهم على الصعيد السياسي و هذا غير صحيح ، فعلى الرغم من أن الأرجنتيني دييغو مارادونا يعد من الوهلة الأولى مجرد لاعب كرة قدم مشهور قاد الأرجنتين للفوز بكأس العالم للمرة الثانية في المكسيك عام ١٩٨٦م ، إلا أنه اضحى على إثر ذلك بطلا قوميا في نظر مواطنيه و يضاهي بمكانته العالية هذه إيفيتا زوجة الرئيس الراحل خوان بيرون (١٩٧٠ – ١٩٧٤م) و أضفوا عليه آيات التقدير و التبجيل و التقديس و إكتسحت شعبيته أرجاء بلده و إخترقت أصدائها جبالها قبل سهولها و تدثرت بأنهارها قبل بحارها في ظاهرة لم يسبق لها مثيل على الصعيد الرياضي و لاسيما لعبة كرة القدم فاقت ما حدث لباساريلا و رفاقه عند حصولهم على اللقب العالمي السالف الذكر للمرة الأولى في أرضهم و بين جمهورهم عام ١٩٧٨م ، كل هذا تبخر إثر مونديال إيطاليا عام

١٩٩٠م لتهل عليه الويلات و النكبات و معظمها كان مفتعل لأغراض في نفوس أصحابها من كل حدب و صوب داخل وطنه و خارجها و توقف مسيرته الكروية و يضحى في نظرهم خائنا مع مرتبة الشرف .

و لكي نناقش هذا التحول المفاجئ للناس نحوه علينا أن نعود إلى سيرته الذاتية علها تكشف لنا الخطوط العريضة المرتبطة بها ، فمن المعروف أن دييغو أرماندو مارادونا ولد في حي فقير مليء ببيوت الصفيح التي لم تكن تقوى على الصمود في وجه هدير القطار العجوز المار بجوارهم يقع قرب مرفأ إفيلانيدا[٥] الصغير الواقع شرق العاصمة بيونس آيرس عام ١٩٦٦م من أب غواراني كان يعمل في محطة السكة الحديدية قبل أن يفتح مطعما صغيرا للمأكولات الشعبية و البحرية في البلدة و أم إيطالية هاجر أهلها إلى الأرجنتين مطلع القرن العشرين ، كان الحياة هناك بالنسبة له رتيبة و مملة ، و رغم قرب بلدته من المحيط الأطلسي إلا أنها عانت فترة الخمسينيات من حالة الركود التجاري كأهم مرافئ العاصمة لشحن البضائع من و إلى اوروبا سابقا ، إذ لم تكن تستقبل سوى سفن المهاجرين من اوروبا و آسيا الفارين من بلدانهم لأسباب سياسية و إقتصادية بحتة ينافسونهم على لقمة العيش الضئيلة الحجم ، و هذا مما جعله يعاني من حالة إكتئاب حاد جعلته يؤثر الوحدة و الإنعزال عن نظرائه و عدم مشاركتهم همومهم و أفراحهم إلى أن وجد كرة قدم مهملة في مكب للنفايات تبدو سليمة بعد أن تأمل الصندوق الخشبي الآتي منه بعد أن سرقه

[٥] قرية ساحلية صغيرة على المحيط الأطلسي تقع شمال غرب الأرجنتين (المؤلف) .

أحد اللصوص من إحدى عربات قطار الشحن و أمسكها بفرحة غامرة لا توصف لتكون نقطة تحول جذرية غيرت مجرى حياتها و لاسيما و أنه كاد أن يفقد حياته من أجلها عندما سقط في إحدى الآبار العشوائية المهجورة .

حيث إنضم إلى مباريات عادية التي كانت تدور في حيه بين فرق صغيرة للناشئين لا يكسب الرابح فيها سوى بعض النقود التي لا تسد رمق عائلته ، إلا أنها أضحت كغيرها من مباريات الأصدقاء المنتشرة في شوارع المدن و البلدات الأرجنتينية سوقا شبه رسمية تديرها المافيا الرياضية لإكتشاف المواهب الكروية الناشئة و ضمهم إلى الأندية الكبرى في الدوري المحلي ، و هذا ما حدث للمدير الفني لفريق بوكاجونيور أو أرجنتينوس سابقا عندما إنبهر بالفتى القادم من مكب النفايات في حارته و بمهاراته الفردية التي تدل على نبوغ مبكر و قدرات خارقة إستثنائية في مجال كرة القدم ، سيما و أنه إستطاع تحويل هزيمة فريقه النكراء إلى نصر كاسح في الدقائق الأخيرة من المباراة عندما سمح له المدرب بالدخول بعد إلحاح منه و أخيه هوغو و الدماء تنبثق من الجروح التي أصابت ساقيه جراء تحطم قوارير المياه الغازية التي كان يحملها إلى والدته قبيل بداية الشوط الثاني ، و من اللحظة الأولى قرر أن يهتم به و يتبناه كولد من أولاده منذ إلتحاقه بصفوف فريق بوكاجونيور للناشئين حتى وصوله الى الفريق الاول عام ١٩٨٠م ، بل أن رعايته شملت كافة أفراد عائلته أجمع التي كانت فيما مضى تعيره لشغفه الشديدة بالكرة المستديرة و يروها مضيعة للوقت .

منذ إنتقاله و عائلته إلى بيونس آيرس إبان فترة الستينيات حتى إستمر نجمه في عالم الكرة المستديرة بالتألق و الصعود السريع للوصول إلى قمته على الصعيدين المحلي و الدولي ، فبفضله إستطاع بوكاجونيور[٦] الإستئثار للدوري المحلي لسنوات عديدة على حساب خصمه التقليدي ريفر بلات[٧] مما أثار أعجاب القائمين على إدارة المنتخبات الوطنية بوزارة الشباب و الرياضة و تحديدا المنتخب الوطني للشباب الذي حقق بفضله للمرة الأولى كأس العالم للشباب التي إقيمت نسختها الثانية في اليابان عام ١٩٧٩م ليدخل أبواب المجد و الشهرة من أوسع أبوابه و يصبح في غضون ثلاثة أشهر في التشكيلة الرئيسية للمنتخب الأول المشارك في مونديال إسبانيا ١٩٨٢م على الرغم من أنه لم يكن مستواه المذكور كما يجب و طرد خلال مباراة الأرجنتين و البرازيل التي إنتهت لصالح الثاني مما يكشف لنا أن عناصرا في المنتخب لاعبين كبار و إداريين كانوا يتحينون الفرص لإقصائه بكافة الوسائل ، سيما و أنه لعب في منطقة الدفاع لا الهجوم آنذاك ، إلا أنها لم تؤثر على شهرته لدى قطاع عريض من الجماهير الأرجنتينية بل لفتت أنظار الإسبان إليه و أثارت هوسهم به فضموه إلى صفوف برشلونة الكاتالوني[٨] ليحقق معهم الدوري المحلي و الاوروبي في عام ١٩٨٤م قبل أن ينتقل إلى نابولي ليحقق معه الدوري الإيطالي لأول مرة في تاريخه عام ١٩٨٥م و يصل إلى ذروة مجده الصاعد في عالم الكرة المستديرة عن

[٦] نادي رياضي أرجنتيني قديم منذ مطلع القرن العشرين و يعني فريق الصغار باللغة الإسبانية (المؤلف) .

[٧] نادي رياضي أرجنتيني قديم منذ مطلع القرن العشرين و يعني السهول النهرية باللغة الإسبانية (المؤلف) .

[٨] نسبة إلى إقليم كاتالونيا الإسباني و عاصمته برشلونة (المؤلف) .

إنتزع اللقب العالمي لبلده للمرة الثانية عام ١٩٨٦م و يصبح معشوق الجماهير الرياضية في ارجاء المعمورة .

و مع ذلك فان هذه الشهرة الطاغية التي ناضل من أجل تحقيقها سرعان ما أغرقته في بحر من الضغوط و الهموم و المخاوف من إختفائها و تبخرها أمامه في غمضة عين و لاسيما و أن التجارب علمته أن مستقبل لاعبي كرة القدم ليس مضمون و ثابت إلى الأبد ، فبعد أن يرتفع سعرهم في السوق سيقل في أي وقت و يخسروا كل شئ ظفروا به و هذا ما دفعه إلى الهروب من ذلك بتعاطي الكوكايين و هو الريفي البسيط الذي لم يكن يعرف أضراره الشديدة عليه و يجهل مظاهر المدنية الزائفة السائدة في هذه المجتمعات المصنوعة من الزجاج و الأسمنت و يتحركون فيها كالروبوتات المدجنة و الموجهة بجهاز تحكم لا مرئي راسخ في عقولهم و قلوبهم دون رحمة أو شفقة منذ أن كان في إسبانيا ثم إيطاليا و إستمر و هو في إيطاليا دون أن يثير غضب أو إستنكار مشجعيه المحليين و العالميين على حد سواء آنذاك ، و حتى بعد الضجة الإعلامية التي أثارته الصحف البريطانية حول الهدف الذي سجله بيده في مرمى إنجلترا بمونديال المكسيك إلا أنها لم تفت في عضده و تهز شبرا واحدا من نجوميته الطاغية إلى أن حل عام ١٩٩٠م و التي كانت نقطة فاصلة و حاسمة في حياة هذا الرجل الموهوب و بداية العد التنازلي لإنهيار أسطورته الكروية و هالته المقدسة لدى الجماهير .

حيث كان الناس على موعد مع كاس العالم المقام حينها في إيطاليا ، و خلالها بدأ مستواه في اللعب باهتا خلال البطولة فلم يقدم أيا من مواهبه و مهاراته الكروية التي تثير إعجاب الجميع إلى حد الهوس على الرغم من أنه نجح في إيصال بلاده إلى المباراة النهائية بهدف الفوز الذي سجله في مرمى إيطاليا عبر ركلات الجزاء الترجيحية و الذي أثار غضب أخواله الإيطاليين منه و يصبوا جام غضبهم عليه في صحفهم و منتدياتهم و برامجهم التلفزيونية و لاسيما بعد أن وصف بقوله أن الإيطاليين لا يساؤون شيئا ، إلا أن المباراة النهائية كانت ضد نفس المنتخب الذي هزمه في نهائي مونديال المكسيك عام ١٩٨٦م ألا و هو المنتخب الالماني الذي إنتصر على الارجنتين بهدف يتيم وسط تحكيم دولي سيء للغاية و دون أن يقدم مارادونا أي جديد و يحول الهزيمة إلى نصر و يمطر مرمى الخصم بكم هائل من الأهداف أو يبهر جماهيره بإبداعاته و مهاراته الكروية التي سحرتهم لعقدين من الزمن ليضيع من أمامه حلم تتويج بلاده بالكاس للمرة الثالثة و يصبح الساحر بلا سحر و النبي بلا معجزات ، فيدخل على إثر ذلك في حالة من اليأس الشديد التي دفعته إلى تعاطي المخدرات حد الهوس و الإسراف في الأكل إلى حد السمنة ، أما الجماهير الأرجنتينية و العالمية على حد سواء فسرعان ما إنفضت عنه و أضحت تطالب بإعدامه و عدم الشفقة عليه حيث ظهر ذلك جليا خلال مداهمة الشرطة المفاجئ العنيف و المخالف للإجراءات القضائية دون مذكرة تفتيش لمنزل أحد أصدقائه في بيونس آيرس لحظة وجوده فيه عام ١٩٩١م لوجود كيلوغرامات من

الهيروين لديه ، لتتبخر آماله و نجوميته في معمعة الملاعب الخضراء شيئا فشيئا حتى بعد إحرازه مع منتخبه الوطني اللقب القاري للأمم الامريكية للمرتين العاشرة و الحادية عشرة بين عامي ١٩٩١م و ١٩٩٣م بمعية جيل جديد من نجوم بلاده الصاعدين حينها كباتيستوتا و دانييل أورتيغا و أيالا و هيرنان و غالاريدو ..... الخ إضافة الى كاس القارات عام ١٩٩٢م قبل أن يسقط الفارس من جواده سقوطا نهائيا في الدور الأول لمونديال أمريكا عام ١٩٩٤م على إثر فضيحة مدوية و مفتعلة من لجنة فحص المنشطات التابعة للفيفا بحجة تناوله إحدى العقاقير الممنوعة من قبلها و خسارة بلاده في الدور الثاني أمام رومانيا بنتيجة (٣ – ٢) لتطوى صفحته لدى مراكز صنع القرار الرياضي على الصعيدين المحلي و العالمي إلى الأبد و يدخل بعدها في حالة من اليأس المطبق ، فأهمل صحته و عزف عن ممارسة تدريباته الرياضية المعتادة و إنزوى اكثر عن عائلته و أصدقائه لتصل ذروتها في العام ١٩٩٩م حيث حاول الإنتحار في شقته القريبة من ساحة الأريبيرا[٩] بإبتلاعه كمية هائلة من الكوكايين كادت تؤدي بحياته لولا إنقاذ زوجته و إبنتيه الحزينتين عليه في آخر لحظة لأضحى في خبر كان ثم تجرى له عملية جراحية و على إثرها تماثل للشفاء بعد أسبوعين فقط ، و رغم إصطفاف لفيف من الجماهير العريضة حول مقر إقامته في المستشفى و تصويتهم لصالحه ليصبح بطل القرن في كرة القدم إلى جانب

[٩] ميدان عام في وسط العاصمة الأرجنتينية بيونس آيرس التجاري و إشتهرت منذ السبعينات بأنها ملتقى تجمع أسر المختفين قسريا خلال فترة الديكتاتورية العسكرية (١٩٦٠-١٩٧٠م) و (١٩٧٧-١٩٨٣م) (المؤلف) .

بيليه خلال الإستفتاء الذي أجرته الفيفا عام ٢٠٠٠م ثم إنشاء كنيسة بإسمه عام ٢٠٠٧م و إختيار ذكرى مولده يوما وطنيا لإحياء ذكراه و جعله عطلة رسمية في البلاد و التي عين في الأخير مدربا لمنتخبها الوطني المشارك حينها في مونديال جنوب إفريقيا عام ٢٠١٠م دون أن يفلح في الوصول إلى المباراة النهائية كما عبر عن ذلك مرارا و تكرارا ، فإن لم يكن من أجله و تاريخه الطويل فهي لم تعد تثق به منذ العام ١٩٩٠م ، و لكن من أجل أن يمارس الدور الذي أجبر على أدائه كبطل أسطوري يثير مخيلة الجماهير جيلا بعد جيل دون أن تهتم لمشاعره أو حتى تعتبره إنسانا عاديا مثل غيره من البشر ، لا أقل و لا أكثر .

أتاتورك

تعرضت شخصية مصطفى كمال اتاتورك لسيل من النقاشات و الدراسات العلمية و الغير علمية و المنبعثة من الجدل الدائر حوله على الصعيدين الاسلامي و الغربي و الذي لم يستثن ابناء بلده المنقسمين حياله لما تمتلكه من تناقضات عديدة سلبا كانت ام ايجابا لم يسبق لها مثيل ، سيما و ان الاقدار ساقته الى مصافي المشاهير خلال مطلع القرن العشرين و دولته العثمانية كانت في مرحلة حرجة من تاريخها لم تمكنها من الافاقة منها اثر هزيمة المرة اثناء الحرب العالمية الاولى حيث كان له نصيب الاسد بالإسهام في دق مسامير نعشها الاخير ليدفن معها ما تبقى من الخلافة الاسلامية التي احتمى تحت ظلالها المسلمين قرونا عديدة خلت .

فمصطفى رضا افندي او مصطفى حيدر باشا المعروف بمصطفى كمال اتاتورك من مواليد مدينة سالونيك اليونانية عام ١٨٩٦م كابن غير شرعي والده مجهول النسب و يرجح بانه الباني الاصل بحسب المصادر الاوروبية ، و والدته السيدة زينب من اسرة البانية ايضا لكنها نشأت في احدى الاحياء الشعبية المحافظة داخل المدينة مما جعلها تخاف منهم كيلا يعتدوا عليها لغسل شرفهم منها بعدما يعرفوا بأمر حملها سفاحا و زنى من ابيه الاصلي المجهول الهوية ، فعرضت الامر على مدير الضرائب في المدينة رضا افندي بان يتزوجها و تنسبه اليه ، ليصبح على اثر ذلك اسمه مصطفى رضا و ليتحمل ظهره ظلم المجتمع له حيال اصله الحرام منذ الصغر .

برز في المدرسة متفوقا على اقرانه الطلاب في كافة المواد الدراسية بشكل ملفت ، و ظل على هذا المستوى العالي خلال تحصيله العلمي في الكلية الحربية بإسطنبول حتى تخرجه منها عام ١٩١٠م ما دفع أحد أساتذته إلى مناداته بمصطفى كمال لا مصطفى رضا تعبيرا عن إعجابه الحاد بتفوقه الدراسي و كمال أخلاقه الحميدة .

كانت أولى معاركه الحربية ضمن الجيش النظامي العثماني بعد إلتحاقه به تدور رحاها في ليبيا إثر غزو الإيطاليين لها عام ١٩١١م ليتلقى هناك صدمته الثانية بمن كان يفترض فيهم بأنهم حماة الديار الإسلامية بكافة مشاربها من الشرق إلى الغرب عندما رآهم يتساقطون عمدا تساقط أوراق الخريف أمام جحافل من كان يفترض فيهم بأنهم أعداء الأمة الكفار و تسليم الأول البلاد للأخير على طبق من ذهب في نفس العام رغم وقوف أهلها الليبيين إلى جانبهم بالغالي و النفيس من أموالهم و أرواحهم ، و يتكرر مشهد الخيانة ذاته لقادته العسكريين أمام ناظريه مجددا في جبهتي سوريا عام ١٩١٦م و فلسطين عام ١٩١٧م خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) .

و مع ذلك كله و رغم ما حدث فإنه ظل وفيا لدولته المريضة حتى بعد هزيمتها المنكرة في الحرب السالفة الذكر و تكالب الأعداء المنتصرين على ما تبقى من قصعتها المترامية الأطراف و إحتلال اليونان و إيطاليا و فرنسا و روسيا لها بموجب مؤتمر فرساي للسلام عام ١٩١٩م ، ما دفعه إلى لملمة شتات زملائه من ضباط الجيش العثماني و توحيد صفوفهم لمواجهة المحتلين الجدد و سعيه الحثيث

لطردهم من بلاده إلى غير رجعة قبل أن يتلقى صدمته الثانية من السلطان العثماني وحيد الدين (١٩١٨-١٩٢٢م) الذي أعلن تحالفه مع الإستعمار اليوناني الذي كان يحتل إسطنبول بشقيها الآسيوي و الاوروبي آنذاك ضدهم ، و رغم هذا الموقف المشين فلقد قبل بوجودها السياسي القائم منذ ستة قرون كما هو عليه حتى بعد تحرير البلاد من المستعمرين اليونانيين و الإيطاليين و الفرنسيين و الروس عسكريا (١٩٢٠-١٩٢٢م) و سياسيا بموجب معاهدة لوزان الخاصة بالدولة القومية عام ١٩٢٢م و إعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م قبل أن يغير رأيه و يعيد حساباته مرة أخرى و يقوم بحلها إلى الأبد عام ١٩٢٤م وفقا للعوامل التالية :

١- الحفاظ على وحدة التراب التركي الجديد الذي شمل على ما تبقى من الإمبراطورية العثمانية من مؤامرات الحلفاء المنتصرين الداخلية و الخارجية ضدهم .

٢- قطع كافة الأواصر و الصلات التاريخية التي تربط أبناء جلدته الأتراك بالإمبراطورية العثمانية بمن فيها الطابع الإسلامي التقليدي لها و تنوعها العرقي و الطائفي حيث رأى بأنها السبب الرئيسي وراء دمار بلاده على كافة الأصعدة و تحديدا نهجها الديني المتطرف و شعوبها الغير تركية التي ليس لها ولاء لبلاده على الإطلاق .

٣- الرضوخ لضغوط دول الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الأولى و إملاءاتهم المفروضة عليهم ضمن معاهدة لوزان عام ١٩٢٢م (و التي جعلتهم

ينتازلون عن سالونيك لليونان و كركوك و الموصل للعراق) حفاظا على إستقلال بلاده الذي إنتزعه بالقوة عام ١٩٢٢م على دولته الجديدة التي تأسست عام ١٩٢٣م .

و من هذا المنطلق ، سحب آخر جندي تركي من آخر ولايات الإمبراطورية العثمانية ألا و هما اليمن الشمالي و السعودية بعد حل الأولى عام ١٩٢٤م ، و قام بتطبيق عقيدة قادة الإنقلاب الدستوري ضد السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) عام ١٩٠٨م حزب الإتحاد و الترقي بحذافيرها و لكن على طريقته الخاصة و التي باتت تعرف بالعقيدة الكمالية عندما فرض القومية التركية بلغتها و ثقافتها البدائية و عاداتها و تقاليدها و هويتها الإسلامية على المواطنين الأرمن و العرب و اليهود و اليونانيين و الأكراد و السريان و منعهم من التعبير عن هوياتهم القومية و لو داخل بيوتهم بالقوة ، كما فرض عليهم و على إخوانهم الأتراك نهجه العلماني التغريبي المتطرف تماشيا مع الشروط المفروضة من قبل الحلفاء المنتصرين على دولة أجداده و آبائه العثمانيين المهزومة التي عجزت عن إنقاذ نفسها من وحل السقوط الآسن و الحفاظ على هيبتها العريقة كدولة عظمى إمتدت إمبراطوريتها العملاقة من روسيا و إيران شرقا حتى إسبانيا و المغرب غربا بعدما نخر السوس و العفن في عظامها المتهالكة و أحشائها الميتة على يد حكامها الأغبياء و صراعاتهم الداخلية التافهة على مر العصور .

ميخائيل غورباتشوف

لم يفق الروس من ذهولهم المفاجئ إن لم نقل صدمتهم الصاعقة بالإنهيار المدوي لإمبراطورية بلادهم الشيوعية المعروفة بالإتحاد السوفيتي على يد آخر زعيم له ألا و هو ميخائيل غورباتشوف (١٩٨٥-١٩٩٢م) الذي أطلق رصاصة الرحمة عليها دون عقد أو إبرام في الأول من يناير من عام ١٩٩٢م ، ما دفع البعض منهم إلى أن يصب جام غضبهم عليه خلال ترشحه للإنتخابات الرئاسية عام ١٩٩٦م محملينه مسئولية ما أصابهم من كوارث وخيمة حلب بهم جراء نهجه البريسترويكي[١٠] المدمر قبل و بعد سقوط الإتحاد السوفيتي (قبل أن أنقذهم الرئيس الحالي فلاديمير بوتين من الإنهيار التام بعد توليه السلطة عام ٢٠٠٠م) رغم تحمسهم الشديد من قبل له و لإصلاحاته الجذرية في صلب النظام الشيوعي القائم لزعيمة المعسكر الشرقي و حلف وارسو و العالم الثاني منذ تربعه على عرشها الشمولي عام ١٩٨٥م .

فميخائيل غورباتشوف رجل القانون المعتدل المولود في مقاطعة ستافروبول الروسية من أسرة أوكرانية الأصل عام ١٩٣١م عاصر منذ صباه حتى بلوغه الرابعة و الخمسين من عمره التقلبات السياسية و العسكرية و الإقتصادية التي عانت بلاده منها خلال الحقبة الشيوعية (١٩١٧-١٩٩٢م) رغم أنها أضحت قوة عظمى لا يستهان بها إثر إنتصارها العظيم على الالمان النازيين في الحرب العالمية الثانية

[١٠] نسبة إلى البريسترويكا و هي كلمة روسية الأصل تعني إعادة البناء أو الترميم أو الإصلاح الجذري (المؤلف) .

(١٩٣٩-١٩٤٥م) ، لكن غزوها العسكري الغير مدروس لأفغانستان عام ١٩٧٩م و الإنهيار المتعمد لأسعار النفط العالمية عام ١٩٨٤م أسقطت أوراق التوت الساترة لعوراتها الفادحة أمام الجميع و أظهرت لهم مدى هشاشة نظامها الشمولي الراديكالي[١١] العاجز عن حماية أكبر دولة في العالم من حيث المساحة و ثاني أكبر إقتصاد في أرجاء المعمورة آنذاك من الأخطار الداخلية و الخارجية المحدقة بها من كل حدب و صوب ، حتى إصلاحات سلفه يوري أندربوف (١٩٨٢-١٩٨٤م) لمكافحة الفساد المالي و الإداري لم تجد نفعا بعدما نخر سوسه العفن في أجهزة الدولة المدنية و العسكرية على حد سواء ردحا من الزمن .

أمام هذه المعطيات الطارئة السالفة الذكر التي لا تبشر بالخير قرر غورباتشوف كرجل قانون ساذج لا كسياسي محنك أن يستخدم الحل المرفوض من قبل أسلافه السوفييت مرارا و تكرارا حيث كانوا يعتبرونه أسلوبا رخيصا من أساليب الإمبريالية[١٢] الرأسمالية ألا و هو سياسة الإنفتاح الديمقراطي و الإقتصادي مع الغرب و السماح بحرية التعبير و النقد الذاتي و المشاركة الشعبية في صنع القرار السياسي و الرقابة التشريعية أسوة بالنموذج الصيني المدروس ، و بالرغم من أنه جعلها ضمن نطاق محدود في بادئ الأمر إلا أنه ما لبث أن قام بتوسعة رقعتها التشريعية بشكل غير مدروس أكثر من اللازم بعدما رأى إقبال المواطنين المنهمر إنهمار السيول الغزيرة

[١١] معناها الثوري باللغة الفرنسية (المؤلف) .

[١٢] معناها التوسع الإمبراطوري باللغتين الفرنسية و الإنجليزية (المؤلف) .

عليه دون أن يدرك مليا فداحة ما يقوم به من إصلاحات جذرية فريدة من نوعها قد تؤدي إلى سقوط بلاده الشيوعية و نظامها الشمولي إلى الأبد ، سيما و أن العدو اللدود لهم الغرب الرأسمالي و على رأسهم أمريكا إستفادوا منها أيما إستفادة لإسقاط حلف وارسو و المعسكر الشرقي إلى غير رجعة بعدما ألغى مبدأ بريجنيف الدولي[١٣] بجرة قلم عام ١٩٨٩م ، فضلا عن سحبه الفوري للقوات السوفيتية من المانيا الشرقية و تشيكوسلوفاكيا و بولندا عام ١٩٩٠م ، و عندما أدرك بأن الأمور ستنحو هذا المنحنى الخطير قرر أن يوقف العمل بإصلاحاته البريسترويكية المدمرة و ينقذ ما يمكن إنقاذه و لكن بعدما الآوان قد فات و سقط كل شئ إلى غير رجعة .

[١٣] هو قانون دولي وضعه الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف (١٩٦٤-١٩٨٢م) عام ١٩٦٥م بموافقة أعضاء حلف وارسو يعطي مثله مثل مبدأ إيزنهاور المطبق في حلف شمال الأطلسي حيث يعطي بموجبه للسوفييت الحق في التدخل العسكري لأي بلد من بلدان حلف وارسو بطلب منه لحماية نظامه الشيوعي من مؤامرات الغرب الرأسمالي كما فعلوا في المجر عام ١٩٥٦م و تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨م (المؤلف) .

أنور السادات

واجه الرئيس المصري المؤمن (١٩٧٠-١٩٨١م) بصدر رحب السهام الغاضبة المصوبة نحو مقامه الرفيع من قبل الناصريين و العروبيين و الشيوعيين و الإسلاميين في بلاده و العالمين العربي و الإسلامي إثر توقيعه على إتفاقية كامب ديفيد للسلام مع إسرائيل عام ١٩٧٨م و تسببت بإغتياله خلال العرض العسكري عام ١٩٨١م بعدما كان في نظرهم بطلا مغوارا قاد أبناء أرض الكنانة إلى النصر المجيد ضد الجنود الإسرائيليين الذي فروا من أمامهم كالفئران المذعورة خلال حرب السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م حيث خان مبادئ سلفه جمال عبدالناصر (١٩٥٤-١٩٧٠م) و نهجه القومي الإشتراكي في مناحي الحياة العامة و الوطن و الأمتين العربية و الإسلامية بتطبيعه الكامل مع الكيان الصهيوني العفن رغم أنهم يعلمون علم اليقين بأن من أجبره على سلوك هذا الطريق المحفوف بالمخاطر هو سلفه جمال عبدالناصر و نائبه عبدالحكيم عامر اللذين باعا شبه جزيرة سيناء للإسرائيليين على طبق من ذهب عبر سحب القوات المصرية بأكملها منها إلى الضفة الغربية لقناة السويس خلال حرب ١٩٦٧م و حليفه و نظيره السوري حافظ الأسد (١٩٧١-٢٠٠٠م) الذي باع الجولان أيضا للإسرائيليين على طبق من ذهب مرتين خلال حربي ١٩٦٧م و ١٩٧٣م حيث إضطر إلى تصحيح الأخطاء الفادحة الناتجة عن أفعالهم المشينة تلك قدر المستطاع بأساليب و حلول غير مدروسة تتسم بالتهور و

الغباء التام و عدم خبرته السياسية في إدارة شئون بلاده الداخلية و الخارجية بشكل سليم .

عدلي يكن

يبدو من الوهلة الأولى و من إسمه التركي المركب رجلا مغمورا لا يستحق الذكر لدى إخوانه العرب و الأتراك على حد سواء ، إلا أنه يحظى بشهرة واسعة النطاق لدى أبناء جلدته من مصر الكنانة ليس حبا فيه بل كراهية له ، فرئيس الوزراء المصري الراحل عدلي يكن (١٩٢١-١٩٢٢م) الذي إنتزع إستقلال بلاده من براثن الأسد البريطاني عام ١٩٢٢م بعدما وقع إتفاقية عدلي – كيرزل في لندن منهيا من خلالها حمايتهم الإستعمارية عليها عام ١٩٢١م حيث وصفها العديد من المؤرخين المحليين المحسوبين على تيار خصومه الوفديين بأنها إتفاقية العار التي من خلالها سطورها السامة غيرت شكل الإحتلال البريطاني بنمط آخر يرضي جميع الأطراف إلى حد ما ، فلم يعد هناك أي وجود لقواتها المسلحة على التراب المصرى سوى في قواعدها العسكرية الكائنة في السويس و بورسعيد و الإسكندرية و القاهرة و السودان الخاضعة بدورها لإشراف الحكومة المصرية التي أصبحت تدير نفسها بنفسها و شئون البلاد بنفسها دون الخضوع للمندوب السامي البريطاني حيث ألغي تماما بعد إلغاء الحماية رسميا عام ١٩٢٢م و إستبداله بسعادة سفير المملكة المتحدة لدى مملكة مصر و السودان الذي مارس نيابة عن حكومة بلاده الوصاية الأجنبية على الأخيرة و حكومتها الرسمية من وراء الستار حتى عام ١٩٥٦م ، فإتهموه على إثرها بالخيانة و العمالة للمستعمرين و التآمر لصالحهم على منجزات و

مكتسبات ثورة ١٩١٩م التي قادها أبو القومية المصرية و زعيم الوطنيين المبجل و رئيس الوزراء السابق سعد زغلول الذي كان السبب وراء إندفاع عدلي يكن للإنشقاق عن وحدة الصف الوطني سلوكه هذا الدرب المحفوف بالأشواك ، سيما و أنه كان وفديا و من الرعيل المؤسس لحزب الوفد عام ١٩١٨م و أحد قادة ثورة ١٩١٩م الشعبية التي أجبرت السلطات الإستعمارية البريطانية على الإستجابة لأول مرة لمطالب الثوار المصريين و المتمثلة بالإفراج عن أعضاء الوفد المفاوض في مؤتمر فرساي للسلام بغية الحصول على الإستقلال التام لبلادهم قبل أن ينشق عنه هو و رفاقه علي شعراوي و عبدالخالق ثروت و عبدالخالق ثروت و عبدالعزيز فهمي بعدما ضاقوا ذرعا من تفرد رئيس الوفد سعد زغلول برأيه في كل شاردة و واردة تتعلق بالمفاوضات و فرض قراراته عليهم دون إستشارتهم فيها و لو على سبيل الدعاية ، و ما زاد الطين بلة أنه كان يخوض مناورات مع الطرف البريطاني ردا على مناوراته و مراوغاته حتى و لو أدت تلكم المناورات السالفة الذكر لكلا الطرفين المفاوضين إلى وضع العقبات و العراقيل المفتعلة على درب الإستقلال المنشود لغايات دنيئة في نفس يعقوب و كوسيلة من وسائل المزايدة المحلية لا أكثر و لا أقل [١٤] .

و من هذا المنطلق أسس مع زملائه المنشقين حزبا جديدا لمواجهة حزبهم القديم الوفد ألا و هو حزب الأحرار الدستوريين عام ١٩٢٠م و الذي حظي بدعم لا محدود من الأسرة العلوية المالكة و حلفائها البريطانيين للأسف ، و ما إن تولى

[١٤] كما يفعل نظام حافظ الأسد السوري خلال مفاوضاته مع إسرائيل منذ ١٩٩٥م (المؤلف) .

رئاسة حكومته الأولى بإسم حزبه الجديد عام ١٩٢١م حتى تولى دفة المفاوضات الشاقة مع الطرف البريطاني و التي أسفرت لاحقا عن منح الإستقلال المنقوص لمصر عن بريطانيا بموجب إتفاقية عدلي – كيرزل المذكورة سلفا ، و رغم المثالب و السلبيات الفادحة الواردة بين سطورها و شوهت إستقلال البلاد الثمين إلا أنها تعد أقصى جهد بذله في سبيل تحقيق الحرية لبلاده تماشيا مع الظروف الداخلية و الخارجية آنذاك بعدما ظل المنافقون بإسم القضية الوطنية يزايدون عليها ردحا من الزمن إرضاء لجماهير متخلفة و غبية تجري وراء كل ناعق و لو كان كاذبا أشر و رب الكعبة دون أن يتمكنوا من تحقيق ربع ما حققه هو لصالح تحرير بلاده من قبل .

محمد رضا بهلوي

ظل الإيرانيون الحمقى يشوهون صورة إمبراطورهم الأخير و سلفه و والده رضا الذي حرر بلادهم من الإستعمارين السوفيتي و البريطاني عام ١٩٢١م قبل إستيلائه على السلطة من يد القاجاريين عام ١٩٢٥م و يصدقون أصناف القيل و القال الموجهة ضده من قبل مروجيها الذين يصطادون في المياه الراكدة داخل بلادهم و خارجها بملء إرادتهم إرضاء لخلفه الفاسد الأسوأ منه و الذي إستعبدهم و أذل كبرياؤهم الفارسي حتى وقتنا الحاضر مدعيا أنه خليفة الله في الأرض و ظله المقدس روح الله الخميني .

فتارة يقولون عنه أنه طاغية إقطاعي إستعبدهم و أذل كبرياؤهم حكمهم بالحديد و النار ، و تارة أخرى يدعون بأنه نسخة طبق الأصل من مصطفى كمال أتاتورك في فرضه العلمانية و التغريب و الحداثة على الطراز الاوروبي في كافة المجالات عليهم بالقوة وصلت إلى حد إستبدال الأحرف العربية المستخدمة في لغتهم الفارسية بنظيرتها اللاتينية و تقويمهم الفارسي العريق بنظيره الميلادي و الإسلام بالبهائية (؟) ، و يزعمون أيضا أنه عميل للغرب و لا سيما زعيمته أمريكا و تابعتها المطيعة إسرائيل حيث جعل بلاد أسلافه الفرس تحت سيطرة الأجانب يعيشون في أرضها فسادا دون حياء أو خجل مقابل أن يحموا عرشه الطاووسي من السقوط و منحه الضوء الأخضر لنهب ثرواتها الطبيعية و البشرية تاركا الجوع و الفقر و الجهل و

المرض ينهشون شعبه الذي إلتحف أبناؤه المساكين السماء و الأرض بحثا عما يسد الرمق في ظل عهده البائس ..... و غيرها من الإتهامات الباطلة التي لا أساس لها من الصحة و مازالت تنهش أكاذيبها السمجة لحم محمد رضا بهلوى حيا أم ميتا .

و حتى لو سلمنا جدلا بصحتها و لو بنسبة ١٠% فكان لزاما عليهم ألا يلقوا عليه التهم جزافا قبل أن يعرفوا دوافعه الأساسية التي دفعته إلى إرتكاب هذه الأخطاء و الجرائم التي لا تغتفر حسب زعمهم ليدركوا لاحقا بأنه أجبر على إرتكابها رغما عنه حفاظا على بلده من الوصاية الأجنبية بعدما رأى بأم عينه ما آل إليه مصير والده الذي واجه كالسيف فردا جحافل الجيشين السوفيتي و البريطاني دون أن يسعفه حلفاؤه الالمان النازيين بشئ ليهزم أمامهما بعد ثلاثة أشهر من القتال الضاري و يخلعوه من العرش على إثر ذلك عام ١٩٤١م ، و كيف يتعامل الغرب مع أبناء جلدته بإحتقار و إزدراء عما إذا كانوا موالين لهم أم لا حيث آثر مسايرتهم مؤقتا كي يثبت أقدامه في الحكم و يوسع قاعدته الشعبية أكثر من ذي قبل إلى أن واتته الفرصة السانحة و يقلب لهم ظهر المجن عند إعلانه قيام الثورة البيضاء عام ١٩٦٣م و التي قام من خلالها بإصلاحاته الجذرية الشاملة لمناحي الحياة اليومية داخل بلاده و خارجها و التي زادت ذروتها عند إلغائه إتفاقية الكونسورتيوم[١٥] و

[١٥] إتفاقية عقدت بين الحكومة الإيرانية و الشركات الأجنبية عام ١٩٦٧م لتقاسم حصص البترول الإيراني بينهم حيث أعطت للشركات الأمريكية نصيب الأسد (المؤلف) .

تأميم النفط الإيراني عام ١٩٧٦م و مشاركة سلاح طيرانه الإمبراطوري إلى جانب المصريين ضد إسرائيل و دعم قواتهم المسلحة بالمال و العتاد و السلاح و النفط خلال حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣م و الحظر النفطي ضد الغرب (١٩٧٣-١٩٧٤م) ..... و غيرها من الأمور الجوهرية التي دفعت الغربيين و على رأسهم الأمريكيين إلى خلعه من السلطة و لكن عن طريق تشويه صورته و وصمة بالطغيان و الظلم و الخيانة لبلده و أمته الإسلامية عبر ثورة طلابية يسارية شعبية من صنعهم بدأت فصولها الدموية عام ١٩٧٥م و شارك فيها أعوانهم من رجال الدين الشيعة المنتمين لحوزة قم المقدسة (التي أسسها القنصل البريطاني في إيران عام ١٩٢٠م لمواجهة المد الشيوعي الأحمر القادم من موسكو) و من بينهم الخميني الذي نصبوه حاكما للبلاد منذ عام ١٩٧٩م ليكون عميلا لهم من تحت الطاولة لينفذوا من خلاله مؤامراتهم الدنيئة ضد الإسلام و أبنائها السنة و الشيعة و الزيدية و الإباضية و متحالفا مع عميلتهم إسرائيل من تحت الطاولة أيضا ضد أعدائه اللدودين العرب و على رأسهم العدو التاريخي لبلاده العراق الذي حاربه ظلما و عدوانا مدة ثمان سنوات عجاف بأسلحة إسرائيلية صهيونية أكلت الأخضر و اليابس ، فضلا عن أنه حكم شعبه بالحديد و النار و مارس القمع و الديكتاتورية الدموية ضدهم و كمم أفواههم و بتر أعضاؤهم التناسلية و أعدم حواملهم و نهب ثروات بلاده الطبيعية و البشرية و عاث في أرضها فسادا و جعلها تحت سيطرة الأجانب الجدد من الشيعة العرب و لا سيما أتباع الطائفة الزيدية في اليمن الذين باتوا مستعدين لتدمير بلدانهم

الأصلية من أجله و من أجل مؤامراته الدنيئة ضدهم ، علاوة على أنه جوع أبناء جلدته و أفقرهم و إرتكب بحقهم مجازر دموية بشعة يندى لها الجبين بلغ حجم ضحاياها مليوني نسمة من الذكور و الإناث و الأطفال و النساء و العجائز و الرجال بإسم الله و رسوله الكريم (ص) و آل بيته و الإسلام و المسلمين و جميعهم بريئون من أفعاله الدنيئة القذرة براءة الذئب من دم يعقوب إلى يوم الدين .

بيتان

من منا لم يسمع بإسم الماريشال بيتان أحد قادة الجيش الفرنسي العظام في القرن العشرين و الذي قاد بلاده إلى النصر خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) ضد المانيا عن طريق خطه الترابي المبتكر الأول من نوعه (خط ماجينو) في معركة فردان الشهيرة عام ١٩١٨م ؟ فضلا عن أنه أوقف زحف إنتصارات بطل المقاومة المغربية و رئيس جمهورية الريف الأمير عبد الكريم الخطابي ضد الجيشين الفرنسي و الإسباني حيث كبدهما خسائر فادحة لا تنضب في السلاح و الأرواح طيلة تسعة أعوام قبل إنتصار الأول الكاسح عليه و أسره مكبلا بالأغلال خلال معركة أنوال الثانية عام ١٩٢٦م ..... و غيرها من الإنجازات العسكرية الخالدة لهذا القائد الفذ و ظلت راسخة في ذاكرة الفرنسيين الجمعية قبل يمحوها بجرة قلم و وصموه بالخيانة و العار و التآمر على الوطن بلا حياء أو خجل ردحا من الزمن بعدما سلم بلادهم للمحتلين الالمان النازيين على طبق من ذهب عام ١٩٤١م مقابل تعيينه رئيسا للحكومة الموالية لهم و التي عرفت لدى رجال المقاومة الوطنية بحكومة فيشي نسبة إلى مقرها الرئيسي في جنوب شرق فرنسا و التي سمحت للمحتلين الجدد أن يديروا المستعمرات الفرنسية معهم ، و إثر تحرير الحلفاء لفرنسا من قبضة الالمان بعد عملية النورماندي عام ١٩٤٤م تم حل حكومة فيشي و إعتقال رئيسها بيتان ثم محاكمته محاكمة علنية إنتهت بإصدار حكم الإعدام عليه

قبل أن يستبدل من قبل السلطات الرسمية بالسجن المؤبد حيث ظل حبيس إحدى زنازينها المظلمة إلى أن فارق الحياة فيها غير مأسوف عليه من أي فرنسي كان رغم أنهم يعلمون علم اليقين و على رأسهم عدوه اللدود الرئيس السابق شارل ديغول (١٩٥٨-١٩٦٨م) بأنه على ذلك بعدما رأى الجنود الالمان يحاصرونه من الخلف إثر تمكنهم من عبور خط ماجينو بتواطؤ و خيانة من قبل جنود اللواء الثامن البريطاني المرابطين هناك .